من هم يأجوج ومأجوج

مصدر الخبر في الاسلام

جاء في القرآن الكريم عن ذي القرنين بعد ان بلغ المغرب والمشرق : « ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً . قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً على ان تجعل بيننا وبينهم سداً ؟ قال ما مكنني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً ؛ آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال آتوني افرغ عليه قطراً . فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (١) »

فذهب المفسرون في تأويل ذلك مذاهب شتى : فقال صاحبا تفسير الجلالين ان السدين المذكورين هما جبلان يمتقطع بلاد الترك . وان يأجوج ومأجوج هما امتان عظيمتان لقبيلتين (٢) وقال القاضي البيضاوي هما جبل ارمينية واذربيجان . وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيعان من ورائهما يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح (٣) . وقال الضحاك عن يأجوج هم جيل من الترك (٤)

غير ان الشيخ محمد بيرم احد علماء القرن الماضي رجح ان يكون السد في احد القطبين اعتقاداً من ان سياق الآية يشير الى ان ذا القرنين بعد عودته من المغرب والمشرق اتخذ طريقاً جديداً سواهما : وهي طبعاً اما في الشمال او في الجنوب (٥)

تهافت الخرافات على الخبر

ان الآية الكريمة وان كانت خالية من الغرائب والعجائب غير ان العامة لا تستطيع ان تعيش بلا خرافات حتى في هذا العصر عصر الحقائق وحتى في الولايات المتحدة بلد التجدد فان فيها جرائد ينعتونها بالصفراء همها تجسيم الحوادث المخالفة للمعتاد وتنسيقها كما تستجلب لذة القراء وتزيد اقبالهم عليها (٦) وهكذا فقد رووا

---

(١) سورة الكهف (٢) الجلالين ج ٢ ص ٧ (٣) البيضاوي هامش الخريدي ج ٥ ص ١٤٩ ـ (٤) الخطيب الشربيني ج ٢ ص ٣٣٠ (٥) الشيخ محمد بيرم صفوة الاعتبار ج ١ ص ٣٦ — ٣٠ (٦) الدكتور فيلب حتي الهلال ج ٩ ص ٣١ ص ٩٤٢ (٣) الخطيب الشربيني ج ٢ ص ٣٣١

عن النبي المكرم والامام علي وغيرهم من الصحابة احاديث شكلت ليأجوج ومأجوج في مخيلة الناس صوراً مزعجة وجعلتهم من مظاهر يوم الساعة : من ذلك ما روي عن حذيفة مرفوعاً : « ان يأجوج ومأجوج امة وكل امة اربعمائة الف امة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسيرون في خراب الارض . (الى ان قال) انهم ثلاثة اصناف : صنف منهم امثال شجر الارز وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد . وصنف منهم يفرش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى . لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه . مقدمتهم بالشام وساقتهم خراسان . يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ومنهم من ثبت لهم مخالب في اظفارهم واضراسهم كاضراس السباع »(١)

تعريفهم ذا القرنين

اما ذو القرنين هذا فقد ذكروا في اسمه وجوهاً : (١) مرزبان اليوناني (٢) اسكندر بن فيلقوس (كذا) الرومي باني الاسكندرية (٣) نمر بن عمر بن افريقس الحميري . وقال الشيخ محمد بيرم : هو ملك من ملوك العرب العرباء معاصر لابراهيم الخليل عليه السلام وجاء ذكره في اسفار العرب (٤) اما الرازي فقد رجح بانه اسكندر المكدوني

حقيقة الخبر واصله

كان الترك في العصور الخالية امة بدوية يعيشون ما بين الصين وفارس عيشة جندية متسلحين الاعلى فيها القوة والشجاعة (٢) عيشة قوامها غزو جيرانهم ونهب ديارهم ولذلك اطلق عليهم الصينيون : هي يونغ نو (Hioung-Nou) اي الاسرى العاصية والخدام الباغية (٣) كما لقبهم الفرس افتليت (Les ephtalites) (٤) وهو يفيد هذا الوصف . ولقبهم اليونان تيران ومعناه طاغية اوعات (٥)

واشتهروا بالبأس حتى خافتهم الامم وعجزت عن مطاردتهم . وقد بلغ الرعب منهم في الصين ان الناشئات كن ينحن ويتمين سلفا كل جلة تتعرض للمواطن التركية كما ان مؤرخي الارمن المعاصرين لآل ساسان يروون صراحة مخاوف فرسان الفرس

(١) الخطيب الشربيني ج ٣ ص ٣٢٨ (٤) صفوة الاعتبار ج ١ ص ٣٨
(٢) Léon Cahun Introduction à l'Histoire de l'Asie P 79
(٣) احمد راسم مرسلي وخريطه لي تاريخ صيني ج ١ ص ٦
(٤) Léon Cahun Int. à l'Hist. de l'Asie P 54
(٥) دائرة معارف البستاني م ٦ ص ٩٣

المشهورين بسالتهم تجاه الرومان من لقاء الترك . وكيف كانوا يتلكأون اذا ما امروا بمطاردتهم [١] . على ان هيبتهم بلغت ايضاً الامم البعيدة عنهم فكان البيزنطيون يسمون مواطنهم بلاد الظلمة . فضلاً عن ان الترك انفسهم والهون الذين نزحوا من زمن بعيد وتوطنوا في الجنوب الغربي كانوا يسمون بحر الخزر «قوزقون دكز» اي بحر الغربان [٢] . ويظهر ان شهرتهم اخترقت ايضاً جزيرة العرب قبل الاسلام حتى نهى الرسول عن التحرش بهم : فعن معاوية انهُ قال « لا تبعث الارابضين اتركوهم ما تركوكم : الترك والحبشة » وروي عنهُ ايضاً : « اتركوا الترك ما تركوكم » [٣]

هذا ولما ضاقت الصين ذرعاً عن تحمل اذاهم وهي قاصرة عن اللحاق بهم توجهت افكارها الى اقامة حواجز بينها وبينهم على الحدود فحققت تلك الامنية دولة تسين : الدولة الرابعة في الصين فبنى الملك شي وتغ تي السد الكبير من خليج بتشيلي ماراً بالحدود الشمالية [٤] على مسافة ٣٠٠٠ كيلو متر وذلك في عام ٢٥٠ ق. م [٥]

كيف انقلبت الحقيقة

وما انتهى شي وتغ تي من تشييد السد وقال « هذا رحمة من ربي » الاّ وتراجع صدى لسان حاله الى نفوس سائر الشعب الخائف واطمأن . ولكن ذكرى اولئك الترك المزعجة كانت تتجسم في مخيلته وتتوسع كلما مرت الاجيال يحدوها خشية مستمرة من ظهورهم على السد وذكره . كل ذلك شكّل في الصين حكاية لبست ثوب الغرائب وازداد ذلك الثوب ذيولاً وحواشي مع كرور الازمان بانتقالها من مصر الى مصر ويظهر ان هذه القصة بلغت جزيرة العرب قبل الاسلام . يدلنا على ذلك ان اليهود وقبل مشركي العرب هم الذين سألوا النبي عن ذي القرنين [٦] وخبره كما انهُ يظهر ان الامم الاخرى لم تكن غريبة عنها : فقد روي عن جوانفيل انهُ لما اكتسح المغول في القرن ١٣ المسيحي بلاد الروس حسبهم هؤلاء من قوم اجوج ومأجوج الذين يأتون عند نهاية العالم وقبل ما يأتي المسيح الدجال ويدمر العالم [٧]

على مَ تستند ؟

ان المفسرين وان اختلفوا في تأويل ما جاء في القرآن الاّ ان ثقاتهم جاروا في

(١) Idem P25 (٢) L.Cahun Int. à l'Hist. de l'Asie P34
(٣) ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٥ ص ٣٧٨
(٤) محمد امين الخانجي منجم السران ج ٢ ص ٢٨٦
(٥) Dic. Larousse P1267
(٦) الخطيب التبريزي ج ٢ (٧) الجنان ج ٣٤ سنة ١٨٨٦ ص ٧٥٦

تعريف يأجوج ومأجوج حول الامة المغولية وفروعها من ترك وتتر كما انهم اتجهوا بانظارهم الى آسيا لتعيين مكان السد . على انهم وان لم يصرحوا كما صرحنا بان يأجوج ومأجوج هم اولئك الترك الذين كانوا على الحدود الصينية وان السد هو نفس السد الصيني الا ان تلميحهم يصح ان يكون برهاناً على هذا التصريح

يؤيد ذلك فضلاً عن التاريخ التدقيق في آداب اللغات فقد كان اهل الصين يدعون المغول والترك النازلين وراء السد نيوتشي Nue-Tchi ثم تحرف هذا اللقب الى دجوجي ودجورجي وتشورتشا (١) ويظهر انهُ تحول ايضاً فيما بعد حتى وصل الى العرب يأجوج ومأجوج. او انهُ تحت لديهم من كلة جوجي التركية التي معناها القزم والصغير

هذا ولا نخال العرب في ابان مدنيتهم الا قائلين قولنا لما رواهُ فريق من المؤرخين ان الواثق العباسي ارسل معتمدين الى السد وقاسوا بابهُ وقفلهُ الى غير ذلك . وهل عرف البشر غير سد الصين ؟

واما ما ذهب اليهِ الشيخ محمد بيرم حيث رجح ان يكون السد في القطب الشمالي فهو غير معقول ولاسيما بعد ان صار هذا القطب معروفاً واوشك ان يصبح افضل الطرق الجوية واقربها بين القارات كما فصل ذلك اخيراً احد الخبيرين

(المقتطف — السيد محمد بيرم لم يقل احد القطبين بل قال « جهة احد القطبين » اي في الشمال وفي الجنوب)

على ان الشيخ محمد بيرم عاد فاستدرك وقال انهُ اذا كان المراد بالسد في النصوص هو سد الصين يلزم حمل الصفات المذكورة فيها على بقاع من ذلك السد . كما تأول صفات يأجوج ومأجوج الى ما يصح اطلاقها بهِ على التتر والمنشورية (٢)

وحينئذٍ يلزم ان يكون ذو القرنين غير الصعب الذي اشار اليهِ الشيخ محمد بيرم وغير ما ظنهُ بقية المفسرين . وانما هو شي ولغ في الصيني . ولا بأس في ذلك لان هذا اللقب اطلق على ملوك عديدة لتشابه بينهم فيما يصح معهُ اطلاقهُ

ونرجح انهم لقبوا شي ولغ ي بذي القرنين لضفيرتين كانتا في قرني رأسهِ على عادة الصين مثلما لقب العرب بذلك المنذر بن ماء السماء لهذا السبب (٣) والله اعلم

بيروت محمد جميل بيهم

---

(١) L. Cahun Int. à l'Hist. de l'Asie P. 99

(٢) صفوة الاعتبار ج ١ ص ٢٠٩ (٣) المرتضى اقرب الموارد ج ٢ ص ٩٩٣